# "أَثر الفاعل الرقمي في الفعل السياسي ودوره بالتغيير في مصر عام ٢٠١١"

أ.م.د محمد شطب عيدان(*) م.م نواف عبدالقادر جواد(**)

**المُلَخَصُ**

**الفاعل الرقمي أَدات من أَدوات التغيير السياسي المعاصر، تتشكل من مجموعة من الوسائل الرقمية، والتي في جوهرها محايدة، لذا يتوقف الفعل التغييري على الغائية القصدية التي يرمي إِليها المُستخدم، فقد هيأَ الفاعل الرقمي لعملية التغيير السياسي في مصر، ولعبت الوسائط الرقمية دورًا مُهمًا في تنظيمها وقيادتها وتطوير النسق الحركي للتمرد الجماهيري على النظام السياسي، من خلال ما امتلكته القوى المدنية والأفراد الافتراضيين من قدرات عبر الإنترنت، تجاوزوا بها نفوذَ النظام بآلياته الأمنية والاستخباراتية والعسكرية، وأَسهمت كذلك بشكل ملموس في خلق فجوة ما بين الشعب المصري والنظام وتمرده على الوضع القائم، وتحرره من القيود والضوابط السلطوية، التي فرضتها سيطرة الدولة، مما أفضت إلى نجاح التغيير السياسي في مصر بعد إعلان (محمد حسني مبارك) تخليه عن السلطة.**

**كلمات مفتاحية**

**" الفاعل، الرقمي، التغيير، السياسي، ثورة يناير ٢٠١١ "**

(*) كلية العلوم السياسية، جامعة تكريت.

(**) كلية العلوم السياسية، جامعة تكريت..

**مُقدمة:**

**تُعدُّ الثورة الرقمية مرحلة جديدة من الحضارة الإنسانية، وهي أيضًا خطوة إلى الأمام، نحو تطور الحياة في مختلف الجوانب ومنها الجانب السياسي، إذ تحولت المجتمعات الواقعية إلى مجتمعات رقمية، تتوقف فيها القوةُ والضعف على النفاذ إلى الشبكة، والتحكم بالتدفقات القيمية التي أصبحت مصدرًا أساسيًا للتغيير السياسي في العديد من الدول والمجتمعات، والذي بدأَ في ٢٥ كانون الثاني في مصر معبرًا عن إرادة الشعب، الذي انتفض ضد الفساد والاستبداد والفقر، مع تعاظم الظلم والطغيان، حيث كان المجتمع المصري معبأً من أجل التغيير، ولعبت الوسائط الرقمية دورًا مباشرًا في التغيير السياسي في مصر من خلال تهيئة البيئة السياسية له، ومن ثم قيادتها لتنظيم التظاهرات، وتحديد أماكن التجمعات، وساعات الإنطلاق، والشعارات التي ترفع، وكلُّ هذه الأحداث انطلقت عبر وسائل الاتصال الرقمي من العالم الافتراضي، إلى المجتمع الواقعي في (ميدان التحرير)، مما أربك الجهاز الأمني الذي فقد السيطرة خلال بضعة أيام من انطلاق الثورة المصرية التي استطاع فيها الشعب المصري خلال ١٨ يومًا فقط أن يُسقطَ نظام محمد حسني مبارك.**

**أولًا: أهمية الدراسة:-**

**تتجلى الأهمية النظرية للدراسة بموضوعها الذي يعد من المواضيع المعاصرة التي باتت تشكل نقطة مهمة في صعيد الدراسات الإنسانية، كونها تُأصِّلُ نظريًا لموضوع الفاعل الرقمي، أما الأهمية التطبيقية للدراسة، فتتأتى في انموذج الدراسة (مصر)، إذ تكشف عن أهمية دور الفاعل الرقمي كآلية للتغيير السياسي، من قبل الدول التي تستهدف تغيير الأنظمة أو أفراد الشعوب الطامحين إلى تغيير النظام القائم أو التأثير فيه.**

**ثانيًا: أهداف الدراسة:-**

**إن الهدف الأساس، هو التعريف بالفاعل الرقمي والوقوف على الدور الذي يلعبُهُ من خلال وسائله المتعددة، في تغيير الأنظمة السياسية ومنها "جمهورية مصر العربية**

أَنموذجًا"، والتهيئة لقيام الثورة المصرية الناعمة عبر أدواته التي مكنت الأفراد من تجاوز رقابة السلطة، علاوة على ذلك تسعى الدراسة إلى الكشف عن الدور الذي لعبته الدول المتقدمة تكنولوجيًا، والمتحكمة بالفضاء الرقمي في التحولات السياسية التي شهدتها الدول العربية ومنها مصر، والتي غيّرت المشهد السياسي في المنطقة العربية.

**ثالثًا: إشكالية الدراسة:-**

تكمن إشكالية الدراسة في قدرة الفاعل الرقمي بأدواته ووسائله المتعددة على تغيير الأنظمة السياسية، إذ تراجعت مركزية الدولة كنتيجة للتدفق المعلوماتي الذي تمخض عن الفضاء الرقمي المفتوح، فهناك أثرٌ مُتعاظمٌ للفاعل الرقمي في المواطنة وتشكيل القيم السياسية، والمطالبة بعملية الإصلاح والتغيير في الدول العربية، إذ شهدت المنطقة العربية بدءًا من تونس تغييرًا سياسيًا عبر وسائل رقمية قادت نحو ثورات ناعمة من قبل شعوب المنطقة بما فيها الشعب المصري والذي نجح بإسقاط نظام حكم الرئيس المصري الأسبق (حسني مبارك)، إذ يُلاحظ تركيز الفاعل الرقمي على حتمية المعرفة والتقنية والمعلوماتية في العمل السياسي، ولا يمكن تجاهل ديناميته وتأثيراته في التطور السياسي والاقتصادي والحضاري وصياغته للمستقبل السياسي في المنطقة، يحتاج إلى التحليل والإجابة من خلال الدراسة عن عدة تساؤلات كما يلي:

١- ما هو الفاعل الرقمي ؟

٢- ما هي سمات الفعل السياسي في الفضاء الرقمي ؟

٢- ما هو الدور الذي لعبه الفاعل الرقمي قبل وأثناء عملية التغيير السياسي في ٢٥ كانون الثاني عام ٢٠١١ في مصر ؟

هذه التساؤلات حملتها إشكاليةُ الدراسة، لتكون الشيء المراد التعمق به لغرض إثباته أو نفيه.

**رابعًا: فرضية الدَراسة: –**

تنطلق هذه الدراسة من فرضية مركزية مفادها: (إن الفاعل الرقمي بآلياتهِ ووسائلهِ المختلفة، يمكن استخدامه من قبل الدول والأفراد في عملية التغيير السياسي، كما حدث في المنطقة العربية إبان أَحداث الربيع العربي)؛ وسيتم من خلال هذه الدراسة الإستفاضة في الدراسة والتحليل لبرهنة صحتها من عدمها أَو إثباتها أَو نفيها.

**خامسًا: مناهج الدراسة:–**

إن طرائق البحث العلمي تحتاج إلى تحديد منهج لأيّةِ دراسةٍ يُرادُ البحث فيها بدقة، إذ يُعدُّ تحديد المنهج من أولى مُتطلبات البحث العلمي؛ كونهُ المرشدُ ومفتاح الدراسة، ومن هذا المنطلق كان هناك حرصٌ على اعتماد المنهج الوصفي ليكونَ مدخلًا وافيًا لمعرفة ماهيّة الفاعل الرقمي، فضلًا عن معرفة سمات الفعل السياسي في الفضاء الرقمي، وقد اعتمدتُ المنهج التحليلي النظمي: لمعرفة الدور الذي لعبه الفاعل الرقمي قبل وأثناء التغيير في ثورة مصر.

**سادسًا: هيكلية الدراسة:–**

للإحاطة الشاملة بموضوع الدراسة، ومعالجة مشكلتها والوصول إلى هدفها، تم تقسيمها الى مطلبين إضافة إلى المقدمة والخاتمة. جاء المطلب الأول: متناولًا: مفهوم الفاعل الرقمي وكذلك سمات الفعل السياسي في الفضاء الرقمي، أما المطلب الثاني: فقد تطرقتُ فيه للدور الذي لعبه الفاعل الرقمي ما قبل التغيير وأَثنائه، وختامًا الوصول إلى نهاية الدراسة بالخاتمة التي تتضمن أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها والمقترحات التي تمثل إسهامًا متواضعًا في البحث العلمي.

## المطلب الأول: الفاعل الرقمي وسمات الفعل السياسي الرقمي

### أَولًا: مفهوم الفاعل الرقمي:

قبل البدء بتعريف الفاعل الرقمي فإنه من المهم الإشارة إلى أنه لا يوجد له معنًى اصطلاحيًا علميًا محددًا في القواميس السياسية والاقتصادية والتقنية، ولا يوجدُ اتفاقًا للباحثين والمتخصصين جميعهم عليه في الشؤون السياسية، وذلك لحداثة

الإصطلاح والمفهوم في مجال حقل العلوم السياسية، ويمكن القول أن تعريف الفاعل الرقمي مسألة نسبية خاضعة للمنطلقات الفكرية والمصلحية والرؤية الإستراتيجية التي تتعامل وفقًا لها الفواعل بشقيها التقليدي أو الجديد في النظام العالمي مع الرقمية، والتي تسعى من خلالها للتأثير في مجريات الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والأمنية سواءً الدولية أم المحلية[١] .

يتكوّن المفهوم من مصطلحين، (الفاعل والرقمي)، والذي يوحي إلى الاتساع والعمومية إذ تشمل الرقمية كافة الوسائط الناقلة للمحتوى المعلوماتي التي بدورها تشكل الفضاء الرقمي، أما الفاعل فإنه يُعرّفُ في النظام الدولي، بأنه الطرف الذي يمتلك القدرة، على التأثير في مجريات الأحداث الدولية على مختلف الأَصعدة [٢].

ففي ظل التطور الذي شهده النظام الدولي، لم تعد الدولة الفاعل الوحيد، إذ توجد إلى جانبها المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، فضلًا عن الشركات متعددة الجنسيات، بل وحتى الأفراد الرسميين الذين يتولون عملية صنع القرار، أو حتى أولئك غير الرسميين القادرين على التأثير من خلال "الفضاء السيبراني"*، المثال الأقرب لذلك هو الأَمريكي (سنودن) بعد كشفه للوثائق في موقع ويكيليكس، وكذا الجماعات الأصولية التي تنضوي تحت مسمى الأطراف الجديدة [٣]. أما مصطلح الرقمي فيشير إلى النظام الذي يستخدم الأرقام، ويقوم بعملية تحويل النصوص

---

[1] عبدالهادي محمد فتحي، المعلومات وتكنولوجيا المعلومات (القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٠)، ص٢٠.

[2] المصدر نفسه، ص ٢١.

[*] السيبراني: تأتي من كلمة (**Cyber Space**) والتي تشير لعالم مفترض يتشابك مع العالم المادي، يؤثر ويتأثر به بشكل معقد، مبنية العلاقة بينهما على نظرة تكاملية تحمل مزايا ومخاطر عديدة، والذي يعتمد على الإنترنت، بحيث يتم الاتصال بالشبكة عبر الحواسيب أو الهاتف النقال دون أن تقيده الحدود الجغرافية . للمزيد ينظر: خير الدين عبد الرحمن، القوة الفاعلة في القرن الحادي والعشرين (دمشق: دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١٢)، ص ٣١.

[3] المصدر نفسه، ص ٣٤.

والأشكال والأصوات إلى الصفر والواحد، كي تصبح قابلة للمعالجة والاندماج في وسائط رقمية متعددة، لتوفير خدمات تقدمها مواقع الإنترنت [١].

تعددت تعريفات الفاعل الرقمي واختلفت من باحث إلى آخر، إذ يعرفه (جاريد كوهين) على أنه: "أداة أنتجتها القوة الرقمية الهائلة، التي أسقطت حواجز صماء كانت تحول بين البشر، على شكل موجات هادرة، أحدثت تغييرات في مناحي حياتهم المعاصرة، والتي أسهمت في تشكيل قناعاتهم السياسية والثقافية والاقتصادية، إذ أصبحت جميع الأطراف قادرة على تحرير أهدافهم، لممارسة التأثير والتغيير من أي نقطة في العالم، من خلال الدفق المعلوماتي، ومن يملك الأخير يمتلك القوة المعرفية"[٢]. إذن لقد أحدث الفاعل الرقمي تأثيرًا جليًا في معيشة البشر ومسيرة المجتمعات، كرفع العوائق التي تحول بينهم، والتفاعل المباشر والتأثر والتأثير المتبادل .

أما (دارن بارني) مؤلف كتاب المجتمع الشبكي فقد عرّفه على أنه: "نتاج الثورة الرقمية الأولى التي بدأت منذ عقدين من الزمان، بعد انتشار الحواسيب التي أتاحت مساحة مناسبة للعنصر البشري، أن يلعب دورًا أساسيًا للتأثير في مخرجات النظام السياسي، من خلال الوسائط الرقمية الناقلة، فقد أصبح الفرد قادرًا على صياغة مشروعه الخاص، على رقعته الخاصة والشروع في تنفيذه" [٣]. تمخض عن الثورة الرقمية فاعلُ فردٍ، يمارسُ نفوذه للتأثير على السياسات المحلية وحتى الدولية، من خلال توظيفه للوسائل التقنية، خصوصًا بعد اتساع هامش الحريات، لمناقشة كافة القضايا على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي دون قيود . أما الباحث (فخري الهواري) فقد عرفه بأنه: "أداة أصبح لها دور بارز في رسم معالم مجتمع الألفية الثالثة من خلال تقانة المعلومات، إذ تمتاز بتأثير متزايد على جميع جوانب منظومة

[1] خير الدين عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

[2] Jared Cohen, digital revolutions Velvet Democracy (Huston: International Center for Future and Strategic Studies, 2009), p. 17.

[3] Darren Barney, Network Society (New Jersey: USA Center for Research and Policy Studies, 2015), p. 31.

الحياة المجتمعية ( سياسيًا، اقتصاديًا، عسكريًا، أمنيًا )، بعد أن أسهمت الوسائل الشبكية الحديثة في تجاوز العراقيل الزمنية، والتي شجعت المستخدمين من الانصهار في عالم الرقمية الافتراضي، لذلك فالمجتمع المعاصر يتم تشكيله عبر أدوات الاتصال التقنية، وبناؤه فكريًا تبعًا للتأثيرات الوافدة المؤدلجة، غالبًا من قبل دول أو منظمات أو أفراد أو جماعات[١] .

ويُعرِفهُ أُستاذ العلوم السياسية في جامعة كنتاكي (ماكيفر شلابي) بأنه: "فاعل دولي جديد يستفيد من الأدوات والوسائل العصرية التي أنتجتها الثورة التقنية في الفضاء السيبيري، لإعادة قولبة نمط المجتمعات وبناءها السياسي بالشكل الذي يسهم في تغيير أساليب التفكير، وإحلال طرق جديدة لتغيير الأنظمة، بدلًا عن التغيير العنيف، بعد أن تكسر البنى السياسية الشمولية"[٢] .

كما عرفه أيضًا بأنه: "فاعل جديد من غير الدول مكن الأطراف المختلفة لتحريك الأحداث السياسية، والذين لا يألون جُهدًا في استغلال الوسائل أو المنصات الرقمية، لتكون وسمًا لأهدافهم وهويتهم ولرسم طريقة التفكير، أو ما يجب أن يُفكِّرَ فيه المُستهدف، أو فرض أجندة محددة على النظام السياسي، انطلاقا من حتمية قدرته على إحداث التغيير والتحولات السياسية من خلال الدفق المعرفي"[٣]، لقد مكنت تقنية الاتصالات الرقمية، من ظهور الثورات العابرة للحدود الوطنية، مع إتاحة الفرصة أمام النشطاء بالمشاركة في عملية تعبئة الأفراد وحشدهم ضد الأنظمة السياسية من دون مخاطر فعلية، ويعرفه المفكر (عبدالغفور بالريسول) بأنه: "فاعل محرك للأحداث السياسية الداخلية، يدفع بوسائله الرقمية غير المحسوسة ذات القدرات التدريجية، إلى

---

[1] نقلًا عن: فوزي منصور، "التغير والتغيير عبر التطور الإلكتروني"، مجلة المجلس الثقافي اللبناني، العدد ٣٩ (بيروت: ٢٠١٠)، ص ٣٩.

[2] Makifar Shalaby, The Soft War (Washington: Center for a New Security, 2010), p.84.

[3] Ibid, p.86.

التغيير السياسي، دون اللجوء إلى استخدام العنف"[١] . وقد عرّفه الكاتب (جمال الزرن) أنها: "أداة ناعمة غير عنيفة في الفضاء الافتراضي، تسعى لحقيق تعبئة مجتمعية للأفراد تجاه النظام السياسي، إذ يتوسع نشاطها دون أي قيد أو إثارة حساسية تجاهها، تتسم بالهدوء تسعى أولًا إلى تغيير الهوية الثقافية السياسية، ومن ثم تغيير النظم السياسية عبر المواقع الإلكترونية الإخبارية، وشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها"[٢] .

يتضح من خلال ما تقدم من تعاريف (الفاعل الرقمي)، بأنه: "فاعل جديد في ظل العولمة بتقنياتها وأدواتها يقوم على الإنسان الرقمي*، إذ أصبح الأفراد قادرين عبر استخدامهم الوسائل التقنية أن يؤثروا في الأنظمة السياسية، بطرقٍ غير عنيفة للتحريض والدعوة إلى التغيير، وإجبار القادة وصناع القرار على الاستجابة لمطالبهم، منها التغيير البنيوي للنظام السياسي ونمط ممارسة السلطة". كذلك يمكن القول أن الفاعل الرقمي، "هو نتاج للتقدم التقني الذي حققته القوى الكبرى التي عدته آلية للتغيير بمختلف جوانبه، لتحقيق الأهداف الآنية والمستقبلية، وكذلك كأداة للتأثير في سير عملية صنع القرار، أو صنع السياسات العامة للوحدات السياسية، أو حتى بمسارات الأحداث السياسية على المستوى الدولي أو الإقليمي أو المحلي، خصوصًا وأن هذه الآلية غير مكلفة، مقابل العمل العسكري المكلف اقتصاديًا وبشريًا، مستغلةً بذلك ما أنتجته الثورة الرقمية من حدود مفتوحة، أمام التدفق للصور والمعلومات".

## ثانيًا: سمات الفعل السياسي في الفضاء الرقمي:

---

[1] ينظر: عبدالغفور بالريسول، "الثورة الرقمية والسياسة المعاصرة"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، ٢٠١٢، ص ١٠٦

[2] ينظر: جمال الزرن، القوة الصلبة والقوة الناعمة (بيروت : مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، الطبعة الرابعة، ٢٠١٥)، ص ٣٢.

[*] الإنسان الرقمي: الشخص الذي ولد في عصر الطفرة التكنولوجيا، في العقد الأخير من القرن العشرين، ويتفاعل بشكل يومي مع التكنولوجيا الرقمية في كافة مناحي الحياة .

أنتجت ثورة المعلومات مجالًا واسعًا لتشكيل عالم سياسي مفترض، من خلال الافتراضي الرقمي المتحرر من القيود، وإنتاج القوة السياسية وإعادة توزيعها بين الأفراد والسلطة، من خلال تحويل الأفراد العاديين إلى مصادر مؤثرة في إنتاج المعلومة السياسية، والانتقال بشكلٍ عموديٍّ ذي اتجاه واحد إلى الإتصال الأفقي، ومن ثُم الانتقال من الإتصال العمودي ذي الاتجاه الواحد إلى العمل السياسي الأفقي وفقًا لمبدأ "التشارك الشبكي" [١].

ويبدو أن إعادة توزيع القوة والممارسات السياسية وانتشارها داخل المجتمعات بفعل الوسائل الافتراضية، تجسدت في ظهور مجتمعات مدنية فاعلة في الفعل السياسي والإعلامي والاجتماعي، وهو دور يتواصل نسقه التصاعدي عبر الجمعيات والجماعات والقوى المدنية الافتراضية الساعية للتغيير، من خلال تجاوز شبكة المعلومات للحدود الوطنية، ومن يتأمل في التفاعلات السياسية الافتراضية يجد بأنها غير مرتبطة ببنية أو هوية محددة، لاسيما وأنها تتم عبر وسيط إلكتروني، والذي جعل من الفعل السياسي الحالي، يتسم (بالتشاركية، والانقطاع، وتجاوز البعدين الزماني والمكاني، وخفاء الإسم، والتفكك، والتمرد، والفردية)، وهذا ما سيتم تناوله بشكل مفصل [٢]:

أ- التشاركية: لا تعني المشاركة بمعناها التقليدي، والتي بقيت لحقب زمنية طويلة تتحدد داخل أطر اجتماعية وسياسية معينة، بل تعني شكلًا (سيبرنيطيقيًا)* جديدًا في ممارسة السياسة التشاركية أو سياسة المشاركة، إذ تُعدُّ الأحزاب السياسية فيما سبق هي الركيزة الأساسية التي ترسم هذه الأطر، فضلًا عن كونها فضاء لممارسة الفعل السياسي، والذي يلتقي فيه الأفراد من أجل تلقي التنشئة السياسية

---

[1] هدى جميل بشار، جدل الإعلام والسياسة بين الافتراضي والواقعي (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢)، ص ٤١.

[2] المصدر نفسه، ص ٤٤.

(*) سيبرنيطيقي: هو الترابط ما بين الاتصال والإنسان.

بمستوياتها المختلفة، فقد اتسمت الممارسة السياسية التقليدية بالتقاسم والتشارك والتبادل، ولكن في ظل الواقع الافتراضي أصبحت المشاركة خارج نطاق الأطر الاجتماعية والسياسية التقليدية، بل يتم تقاسمه مع ممارسات جديدة مختلفة المعاني ومتعددة الأشكال[١]، فقد أشار (كاستال) إلى أن الممارسة السياسية الجديدة "هي افتراضية تتشكل بالأساس وفق سياق اتصالي إلكتروني مفترض، إذن هي واقعية وليست خيالية، لكونها في حقيقة الأمر ذات أساس مادي تنتظم فيه حياة الناس، وتتكون أنساقهم وعلى أساس ذلك يقومون بنشاطهم وأعمالهم اليومية، كما تمكنهم من إقامة علاقات مع الآخرين، ويكشف من خلالها عن المعطيات وتتكون آراؤهم"، ولعل ما حملته ثورات الربيع العربي، عبر شبكات التواصل الاجتماعي، تجسد ما تحدث به (كاستال) على أرض الواقع، والذي يؤكد نشأة مفهوم جديد لممارسة السياسة التشاركية الإلكترونية، وبمعنى آخر إن الديمقراطية التشاركية وديمقراطية المشاركة[٢] تجاوزت الوسائل الاتصالية الرقمية للأُطر التقليدية في التشارك، التي تقوم على قواعد متوارثة مستمدة من العيش المشترك، إلى تشارك لامتناهي، وغير محدد بالمكان أو الزمان أو بمحددات ثقافية سياسية بعينها، ويتحقق ذلك التشارك اللامتناهي واللامحدود عبر منتديات ومواقع إلكترونية تتوفر فيها المعلومة، وتوفر فرصة لتبادلها والمشاركة في نشاطات سياسية على الصعيد العالمي بفضل سرعة انتشار المعلومة وإمكانية تبادلها بتجاوز الحدود والقوانين والموانع[٣]، وقادت هذه التحولات النوعية في ممارسة الديمقراطية نحو الديمقراطية التشاركية وتشاركها إلى حياة سياسية، أساسها المطالبة بعيش واقع ديمقراطي مشترك من خلال وسائل الشبكات الرقمية (كتويتر والفيسبوك) التي

---

[1] كمال عبد اللطيف سعد، الشبكية والمعرفة الأيديولوجية تقاطعات ورهانات (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٠٩)، ص ١١٣.

[2] المصدر نفسه، ص ١١٦.

[3] مصطفى صلاح العمودي، المجتمع المدني في زمن الثورة الرقمية (تونس: دار البستان، ٢٠٠٩)، ص ٩٣.

ضاعفت من وقع الحرية في عالم اليوم، إذ حولت المواطنين إلى فاعلين مطالبين بتغيير الأنظمة السياسية التسلطية، وصنع ديمقراطية المشاركة والتشارك عبر حياة سياسية افتراضية يومية حقيقية، بفضل منتديات الحوار والمدونات وتبادل المعلومات النصية والمصورة، فضلًا عن تقاسم المشاغل والهموم والآمال والأحلام[١]، وبذلك يمكن القول أنه لاوجود لحياة تشاركية دون التوافق والتحاور والوعي، ولو بنسبة ضئيلة، وذلك سيتحقق في ظل التجمعات المترابطة عبر شبكة الإنترنت محليًا ووطنيًا وعالميًا على الصعيد البشري، في الفضاءات الافتراضية الناشئة والتي تحكمها جماعات افتراضية، وهو مجتمع سياسي جديد تربطه روابط تتسم بالقوة والتمكين، أثبت حضوره بشكل فعلي في المجتمع الإنساني، بدءًا من ثورة تويتر في إيران عام ٢٠٠٨، مرورًا بثورات الربيع العربي وصولًا إلى ما بعد هذه الثورات [٢].

ب- الإنقطاع والتفكك: إن ابتكار الواقع الافتراضي وعوالمه الإلكترونية الذي أسهم في تراجع دور المجتمع السياسي التقليدي وتنامي دور القوى المدنية والجماعات الافتراضية، والتي انخرطت في الفعل السياسي الإلكتروني وواقع الشاشة، ساق الفعل السياسي نحو الانقطاع بمفاهيمه الافتراضية المستحدثة، إذ نجد أن الانخراط المستمر في الروابط والممارسات السياسية الجديدة، يؤديان إلى قطيعة عن الواقع الاجتماعي والسياسي السابق، فالعلاقات السياسية الافتراضية تؤدي إلى انقطاع العلاقة مع المسؤول السياسي، بعد أن حل الاتصال الرقمي معه محل العلاقات الفيزيولوجيَّة، أي أن التفاعلات في الواقع الإفتراضي التي تتم في إطار الإنترنت، ساهمت في تفكك العلاقات القائمة على أساس الوجه لوجه، مما أدى إلى تشكل نوع جديد من العلاقات الاجتماعية والسياسية على المستوى

[1] المصدر نفسه، ص ٩٤.

[2] فريد بن زغنورة، "رقمنة السياسة وتسييس التكنولوجيا"، مجلة الجيل السياسية، العدد ٥١-٥٢ (تونس: ٢٠٠٩)، ص ٥٦.

الافتراضي[١]، إذ أشار عالم الاجتماع السياسي (ألبرت بورغمان) إلى تنامي فكرة التفاعلات الافتراضية مفادها: "أن الإنترنت يبعد الأفراد عن عالمهم، ويؤدي دورًا في التأثير فيهم، وقد أتاح الفرصة لتكوين العلاقات الاجتماعية والتنشئة السياسية عبر فضائها، وأسهمت هذه العلاقات في تفكيك ما هو تقليدي من تلك العلاقات، وتشكيل ما هو افتراضي على المستوى العالمي، وأن هذه الجماعات لا ترتبط بهوية أو قومية معينة، لكنها تجمع بين أفراد ينتمون إلى هويات مختلفة وقوميات متعددة وكل ما يجمعهم هو الاهتمامات المشتركة"، أصبحت هذه الاهتمامات هي الفاعل الأساسي في الحراك السياسي العربي ما قبل التغيير وما بعده بشكل خاص، فسهولة العلاقات السياسية الافتراضية قد فككت المنظومة العلائقية السياسية القديمة وخلقت أخرى شبكية، تتسم بالوضوح والشفافية والقدرة على مباشرة التغيير بعد الانتقال من الافتراضي إلى الواقع، فضلًا عن شدة تعقدها وصعوبة السيطرة عليها [٢].

ج- اللامركزية: إن التفاعلات السياسية على المستوى الافتراضي تتسم بالتعددية في المراكز وتبادلها، فالعلاقات السياسية الافتراضية الناشئة لا مركز لها تخرج عن سياق السلطة وسيطرتها، وهي علاقات تجري داخل المنتديات أو غرف المحادثات، لا توجد فيها سلطة مركزية توجه الحديث أو تفرض نسقًا سياسيًا معينًا، فكل فرد من الممكن أن يكون مركزًا للجماعة وأن يقود الحوارات لتعبئة المجتمع من أجل التغيير، يوازي ذلك أن هذه التفاعلات لا يمكن لشخص أن يهيمن عليها أو يحتكرها، فالجماعات الافتراضية تتفاعل على أساس التشعب والتشبيك، تمكنها من القيام بممارسات اتصالية عديدة واسعة، تتراوح بين توليد المحتوى إلى

---

[1] عبد الملك رومان الدناني، الوظيفة السياسية والإعلامية لشبكة الإنترنت (القاهرة: دار الفجر، ٢٠٠٤)، ص ٤٨.

[2] المصدر نفسه، ص ٥٠.

[*] العلاقات الفيزيولوجيَّة: العلاقة التناظرية الحاضرة فيها الأَرواح والأَجساد.

نقل الرسائل، وهي ممارسات لا يولدها مصدر مركزي واحد ولا يُسيطرَ عليها في هذه التجمعات [١].

د- الفردانية: الفعل السياسي الذي تمارسه الجماعات المدنية الافتراضية يقود إلى خلقِ حراكٍ فرداني اجتماعي وسياسي، أي أن المنخرطين في التفاعل السياسي الافتراضي يدخلونه بوصفهم أفرادًا من خلال جهاز خاص كالهاتف المحمول، ينقلهم من الواقع إلى الافتراضي، فالتطور التقني أدى إلى بروز ما ينعت بالفردانية الإفتراضية عمادها علاقات قائمة على المصلحة الوقتية والنفعية، لكنها حتمًا هذه الفردانية مؤقتة تدفعهم إلى التشاركية وخلق فكر جمعي عبر التشبيك الجماعي، إذ لا يمكن للفرد أن يستمر في تحقيق أهدافه السياسية دون الإتصال مع الجماعة وفقًا لما يطلق عليه لحظة منظومة الحاجات السياسية [٢].

هـ- إخفاء الإسم والمجهولية: إن اتساع نطاق النشاطات السياسية للمجتمع المدني الافتراضي*، والذي أعاد تشكيل القوة والسلطة، أدى إلى أن تصبح العلاقات السياسية في العالم الافتراضي، التي ترتبط حكمًا بالعلاقات الاجتماعية، معظمها تجمعات خفية ذات هوية مجهولة تحكمها الأيقونات والشبكات مخفية الاسم،

---

[1] رفيق سكري، الاتصال والإعلام السياسي (الرياض: مكتبة القنوات، ٢٠٠٨)، ص ٧٣.

[2] المصدر نفسه، ص ٧٥.

(*) المجتمع المدني الافتراضي: هو فضاء للكلام الحر أتاحته التقانة، فقد تضاءلت تكلفة عملية التجمع والتنظيم والسهولة في تشكيل منظومة من الروابط المتماسكة، تتسم بالانتشار الواسع والإمكانية العالية على خلق مساحة وافية، للتعاون والتنسيق لتبادل الأفكار والمعلومات والتعبير عن الآراء و تعبئة الملايين، من خلال المواقع الالكترونية وإنشاء الجماعات الافتراضية التي تضم الكثير من الشباب الذين توجهوا نحو البديل المتاح وهو تكوين منظمات مجتمع مدني رقمية تعمل في المواقع الإلكترونية والمنتديات ومواقع التواصل لما أتاحته من حرية في نقل المعلومة وتبادل الرأي بشأن مختلف المجالات وبذلك نزلت لأرض الواقع ونقلت أفكارها من العالم الافتراضي الى العالم الواقعي لتحقيق الأفكار التي تأسست من أجلها كتنفيذ المطاليب بالتغيير أو تحقيق حياة أفضل وترسيخ العدالة الاجتماعية وممارسة ديمقراطية بشكل حقيقي أو توفير الخدمات أو دعم التعليم والصحة أو التأثير في صنع السياسة العامة .
للمزيد ينظر: فريد بن زغنورة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦.

فالأفراد المنخرطين في التفاعلات الافتراضية والحراكات السياسية يخفون أنفسهم تحت مسميات مختلفة، أو ينفصلون أحيانًا عن هويتهم، لأسباب مختلفة على رأسها الخوف من ملاحقة السلطة، إذ لا يستطيع المنخرط ضمن هذه التفاعلات أن يتعرف إلى من يتحدث ومن يقود، لذا أسهم العالم الافتراضي في ابتداع شخصيات فكرية وسياسية مجهولة الهوية، تمتاز بالفاعلية والتأثير للغاية في الرأي العام، وإعادة تشكيل المشهد السياسي الوطني خصوصا فيما يتعلق بالتغيير السياسي [١].

و- التمرد: لقد فتح الفضاء الرقمي مجالًا جديدًا أمام حركات التغيير، من خلال التفاعلات الافتراضية التمردية، خصوصًا في المجالين السياسي والاجتماعي، فالفرد أصبح قادرًا على أن يعبر عن إرادته متحررًا من الضوابط التقليدية للمجتمعات، وخاصة المجتمعات السلطوية، ففي الفضاء الرقمي المجال متاح أمام الأفراد للاتفاق حول التظاهرات بعيدًا عن قيود المكان، تجلى ذلك بحركات التمرد والتغيير على المستويين الوطني أو العالمي التي تشكل قوامها التجمعات الإفتراضية كآلية رئيسة لعملها، تساهم في تقارب المسافات والاهتمامات، والاتفاق على مناهضة بعض القضايا أو المطالبة ببعض الحقوق [٢].

## المطلب الثاني: دور الفاعل الرقمي في تغيير النظام المصري عام ٢٠١١

### أولًا: دور الفاعل الرقمي قبل التغيير في مصر:

إن ما شهدته مصر في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام ٢٠١١ لم يكن سوى نتاج لمجموعة من العوامل، أبرزها الدور الذي لعبته الوسائط الرقمية، ويمكن

[1] فريد بن زغنورة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠.

[2] سليمان محمد عمر، "الإعلام الجديد والتحولات الديمقراطية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزاوية، الزاوية، ليبيا، ٢٠١٢، ص ١٢٤.

تلخيص الدور الذي لعبته تلك الوسائط في تهيئة البدء بالتغيير السياسي في مصر بالنقاط الآتية [١]:

١- تهيئة البيئة السياسية لقيام التغيير، فقد جرت النقاشات العميقة في المواقع الإلكترونية، إضافة للحملات الشبابية التي خرج بعضها من الفضاء الافتراضي إلى الميدان، والتي شكلت نضال إلكتروني في ظل كثافة الوجود الحقيقي للمستخدمين، الذين ساهموا بالتحريك المطلوب للوضع السياسي الراكد في مصر، فقد اعتبر إضراب السادس من نيسان عام ٢٠٠٨ نقطة تحول في النشاط السياسي للمعارضة الإلكترونية في مصر[٢].

٢- سهّلت تكنولوجيا الإتصال تدفق وتداول الأخبار والمعلومات السياسية بين الأجيال الشابة على نحو عفوي، لدرجة أصبح الشباب المصري في غنًى عن النخب الفكرية والأدبية والسياسية، وعن بذل الجهود في طبع المنشورات وتوزيعها كما كان يحدث في التحركات الثورية في السابق، كما ساهمت وسائل الإتصال في بعث العزيمة والحماس في قلوب الآلاف من المصريين الذين ينشدون التغيير [٣].

٣- أسفر التعبير الحر في الفضاء الافتراضي في مصر قبل الثورة، عن ميل متصاعد لتفكيك التصورات الراسخة عن علاقة الفرد بالمجتمع والدولة الموروثة منذ حقبة التحرر الوطني، وهي التصورات التي لم تر في الفرد إلا موضوعًا للتربية والتأهيل المتواصل من خلال أجهزة السلطة، في ضوء مشاريع تطرحها الحكومة، واستطاعت موجة الكتابة والحوار في الإنترنت أن تجد مكانًا للفرد خارج هذه السرديات نفسها، وأن تكشف مواطن الاضطراب أو التناقض بها، وأعادت بناء

---

[1] المصدر نفسه، ص ١٢٧.

[2] عبدالغفور بالريسول، مصدر سبق ذكره، ص ١٧١.

[3] يوسف أزروال، "الإعلام الجديد وموجة التغيير العربي"، صحيفة الرؤية، (بيروت)، ٢٠١٤/٩/١٥.

مفهوم الجماعة الوطنية المصرية من جديد، بوصفها مجالًا لممارسة هذه الذاتية الجديدة وممارسة الحريات الفردية وليس بوصفها مشروعًا محدد سلفًا [١].

٤- وفَّر الإنترنت لحركات الإصلاح والتغيير في مصر إمكانيات جديدة في مجال النضال السياسي، وخلخلة إستراتيجية النظام من خلال الحشد المتوازي المتعدد المصادر، إذ لم تستطعْ أجهزة الأمن المصري أن تحدد هدفها بدقة أو تصوغ تكتيكًا فعَّالًا للقضاء عليه، بل لم تقدرْ أن تحدد بدقة من يقف وراء الاحتجاجات الاجتماعية قبل الثورة، مما يحول بينها وبين القدرة القمعية لشل القوى المدنية وتحركها والقضاء على فاعلية ردها[٢]

٥- إن الثقافة المصرية السائدة في مجتمع ما قبل ثورة ٢٥ كانون الثاني، لم تكن واثقةً كثيرًا في وسائل الإعلام بل تعتبرها أدواتٍ تخدم مصالح خاصة، لا مصالح المواطن المصري، وإن الإعلام المصري بنوعيه (الرسمي والمعارض) لم ينجح في فترة ما قبل الثورة في تحويل الرأي العام إلى سلطة خامسة تؤثر في صنع القرار السياسي في البلاد[٣]، وهو ما دفع الشباب المصريين نحو الإعلام الجديد الرقمي الذي عزز التدوين الاحتجاجي وأسس حوارات ومناقشات سياسية، ولذلك أصبح نظام مبارك غير قادر على تزييف الرأي العام، بالرغم من الهيمنة على الإعلام الحكومي، فقد جرى إنتاج خطابات نقدية وتداولها، عبر وسائل الإعلام الجديد والتي نجحت في فضح تزييف الإعلام الحكومي للحقائق، وإنهاء العمليات الممنهجة للتلاعب بوعي المواطنين وعقولهم ومشاعرهم لمصلحة

---

[1] علي محمد رحومة، الإنترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠)، ص ٨١.

[2] Robin Effing, Social Media and Political Participation: Are Facebook, Twitter, and YouTube Democratizing our political Systems (Amsterdam, University Of Twente, 2012), p. 41.

[3] سماح عبدالفتاح، الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣)، ص ١٩.

النظام، وأحدث تحول نوعي في وعي أغلبية الشعب المصري، دفعه للتحرك من أجل التغيير [١].

6- أثبت المدونون المصريون مرونة خاصة في مواصلة نشر المعلومات الانتقادية عبر الإنترنت، وكذلك إنتاج نشرات أخبار بديلة وخلق مساحات عبر الإنترنت يمكن فيها للأفراد نشر انتقادات للحكومة من دون ذكر أسمائهم[٢]، وأنشأت مواقع المدونين الناشطين عبر الإنترنت، ووكالات الأنباء الإلكترونية والأحزاب السياسية، مع جماعات المجتمع المدني بيئة افتراضية تناقش القضايا الخلافية، وفي كثير من الأحيان أُلغيت الحواجز بين هذه الأطراف، بعد أن كونت محتوى سياسي حاشد يبني الروابط بين الأفراد المتشابهين بطريقة التفكير أو الهدف الأساس [٣].

7- انشغل الشباب المصري ونشطاء الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في الفترة التي سبقت ثورة ٢٥ كانون الثاني قضايا الفساد، التي أصبحت واقعًا ملموسًا في حياة المواطن المصري ويعايشه بصورة يومية، وكذلك انتهاكات حقوق الإنسان التي أدت في حالات عديدة إلى الوفاة جراء التعذيب الشديد، وهو ما استفز النشطاء الإلكترونيين، الذين باتوا يركزون على هذه الإنتهاكات من خلال مقاطع الفيديو التي انتشرت بشكل هائل على شبكة الإنترنت[٤].

8- أوجدت الوسائط الرقمية في مصر شبكات صامتة للمشاركة السياسية بشكل أكثر إيجابية وجذرية وفعالية، ووفرت آليات وأساليب تحقق رغبة الشباب المصري في المشاركة، عبر وسائل غير تقليدية، إذ يشكل الزحف الصامت

---

[1] أحمد شعيشع، "دور شبكات التواصل الاجتماعي في عملية الاتصال السياسي الحالة المصرية نموذجًا"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، ٢٠١٠، ص ٤١.

[2] المصدر نفسه، ص ٤٤.

[3] علي محمد رحومة، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧.

[4] سماح عبدالفتاح، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

والذي يقصد به أن المواطنين المهمشين يعملون على تحسين ظروفهم المعيشية اليومية من خلالِ نضالٍ ذي طبيعة غير صدامية، لتوسيع مساحة الحرية المكتسبة، مع تجنب الصدام المباشر أو المواجهة مع السلطات[١]، إذ تنشط وتتحول إلى فعل جماعي مقاوم لقمع السلطة، ولكنه في الوقت نفسه يفضل الأطر التنظيمية المرنة، من دون أن تقيد نفسها بقيود مؤسسية أو بيروقراطية، أو حتى أطر تنظيمية جامدة، وإن الحراك الصامت ذو الطابع التدريجي والنضال السياسي في الشارع عكس بأشكال متعددة أنواعًا من التحدي لسلطات النظام المصري، وهو ما انعكس بصورة كبيرة على حالة الحراك السياسي الشبابي في مصر في مرحلة ما قبل الثورة [٢].

9- ساعدت الوسائط الرقمية الشعب المصري على تنظيم أنفسهم قبل الثورة، وأقامت حلقة اتصال بين مستخدميها، ومنحتهم الإحساس بأن لديهم صوتًا وأن لديهم الحق في إبداء الرأي، واستطاعت أن تلعب دورًا في بدأ التغيير الذي كان ليحدث لكن متأخرًا عن ذلك بكثير[٣]، ونجحت هذه الحركات الشبابية المصرية بتحويل تلك الوسائط إلى منبر تعلن من خلاله عن مواقفها الاحتجاجية، وتعبئ الأنصار والمؤيدين بالعديد من القضايا السياسية والاجتماعية، واستطاعت بذلك أن تحقق ما عجزت عنه الأحزاب السياسية طوال عقود طويلة، لا سيما على صعيد تحريك الجماهير وإنزالهم إلى الشارع ولو بصورة تدريجية، إذ ساهمت هذه الحركات قبل الثورة في الحراك السياسي والاحتجاج الشعبي، وعبرت عن

[1] زاهر راضي، "استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي"، مجلة التربية، العدد ١٥ (الأردن: ٢٠١١)، ص ١١٤.

[2] المصدر نفسه، ص ١١٨.

[3] محمد عودة، أساليب الاتصال والتغيير السياسي في مصر (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠١٠)، ص ٨٥.

حيوية المجتمع، وقامت بما كان ينبغي للأحزاب أن تقوم به كما هو الحال في المجتمعات الديمقراطية [١].

10- ساعدت الوسائط الرقمية الحركات الشبابية المعارضة للنظام في الإعداد للتغيير في مصر، إذ عقدت اجتماعاتها ونسقت جهودها فيما بينها عبر تلك الوسائط، مثل مجموعة (شباب ٦ نيسان) التي دعت لإضراب (٦ نيسان) سنة ٢٠١١، الذي استجاب له فئات كثيرة من الشعب المصري تضامنًا مع إضراب عمال المحلة، إذ اعتبر الإضراب هذا نقطة تحول مهمة في استخدام الشبكات الاجتماعية، التي تحولت من مجرد مواقع اجتماعية إلى وسيلة لتنظيم الاحتجاجات وحشد المؤيدين[٢]، دون أن تعيقه التهديدات بالاعتقال، فأعطى نجاح الإضراب للشباب دفعة قوية للشباب من أجل مواصلة مساعيهم ومحاولاتهم الهادفة للتغيير، وزرع فيهم مزيدًا من الإرادة والتحدي بوجه النظام، مما ساهم بتنسيق نوع من التنظيم شبه التلقائي لسلسلة من التظاهرات قبل الثورة، وإفساح المجال أمام تفعيل آليات التشبيك القائمة على التواصل الشخصي، التي مكنت المتظاهرين من خلق حلقات متسلسلة، يكمل بعضها الآخر، لتكون بذلك نوعًا من التنظيم المتناغم لحركة اجتماعية متكاملة [٣].

11- خلقت الوسائط الرقمية في مصر حالة من المرونة الفكرية بين الآراء والمعتقدات التي لا تعد أسيرة لفكر صاحبها، بل وجدت مكان تنطلق من خلاله إلى الآخرين، وجاء تنامي هذه الظاهرة كأحد الآليات الحرة التي كونت نوعًا من الفضاء المجتمعي المنفك من أسر كافة المؤسسات الثقافية والسياسية والأمنية والإدارية والدينية المألوفة التي تتحكم في حياة المواطن المصري، وهو بذلك ليس مجرد إفلات هروبي للمجال العام

---

[1] المصدر نفسه، ص ٨٦.

[2] شيماء ذوالفقار، "دور وسائل الإعلام الاجتماعية في التعبئة السياسية قبيل ثورة ٢٥ يناير" أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، ٢٠١١، ص ٢١٠.

[3] شيماء ذو الفقار، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٣.

الرسمي فحسب، بل هو أيضًا مجال عام مقاوم المفروض من جانب السلطة المصرية ومؤسساتها البيروقراطية [١].

ولا يمكن إغفال الدور الخارجي في تهيئة التغيير من خلال تدريب بعض النشطاء الإلكترونيين الفاعلين فيه، سواء كانوا من المدونين أو مسؤولي صفحات مواقع التواصل الاجتماعي وغيرهم، من قبل بعض الدول والمؤسسات والمنظمات، التي استخدمت الفاعل الرقمي كقوة ناعمة وأداة لتغيير الأنظمة، ويعود الدور الأكبر في ذلك للقوى الكبرى ذات النفوذ السياسي والقدرات الاقتصادية والعسكرية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي تمسك بوسائل التغيير الناعم، خصوصًا وأن الكثير من الأنظمة السياسية أثبتت عدم صلاحيتها وتوافقها مع المعايير والقيم السياسية التي تطرحها [٢].

اتخذت هذه الوسائل آليات عدة، منها الوسائل الناعمة التي تجعل الأنظمة السياسية تستجيب للحراك السياسي الأمريكي، كالتنشئة والتطبيع وبناء الأنساق ونشر القيم كمحفزات معنوية تخاطب العقل والفكر لتغيير المنطق، وفقًا لما يطلق عليه الإقناع والتبني، التي تروج لها الوسائل الرقمية كالحرية والمواطنة وحقوق الإنسان، كمقومات للتغيير الاجتماعي ودفع الحراك المجتمعي والقوى المدنية لتغيير الواقع السياسي، خصوصًا وأن التغيير هذا لا يتطلب تكاليف أو عناء أدائي ملموس فالتغيير الرقمي يحقق سهولة في التأثر والتأثير [٣].

لقد أنفقت الحكومة الأمريكية ملايين الدولارات عبر الأجهزة الرسمية، لدعم المنظمات غير الحكومية التي تعمل تحت شعار الترويج للديمقراطية وحقوق الإنسان والحكم الصالح في دول الشرق الأوسط، وهذا ما أكدته (هيلاري كلينتون) في مقال

---

[1] عمرو عمار، الاحتلال المدني أسرار ٢٥ يناير والمارينز الأمريكي (القاهرة: دار وليد للطباعة، ٢٠١٣)، ص ١٤.

[2] المصدر نفسه، ص ١٦.

[3] مصطفى الفقي، "الربيع العربي والفوضى الخلاقة"، مجلة الاهرام، العدد ٢٥٦ (مصر: ٢٠١٢)، ص ٧٩.

لها تحت عنوان (القوة المدنية في دورية الشؤون الخارجية) عام ٢٠١٠، والتي تحدثت عن تبني الولايات المتحدة سياسة جديدة تدعم فيها التغيير لتقوية المجتمعات على حساب قوة الدولة[١]، ودرب المعهد الجمهوري الدولي، والمعهد الديمقراطي الوطني، قادة بارزين في المعارضة الإلكترونية المصرية على كيفية شن الحملات وتنظيم التظاهرات، عن طريق وسائل الإعلام الجديد، واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، والمدونات والمنتديات والمواقع الإلكترونية وتقنيات الهاتف النقال للترويج لتحركاتهم، والتعبئة والتشبيك، كذلك تعد مؤسسة (اينشتاين) من المؤسسات التي لها الدور الأبرز في تدريب نشطاء المعارضة الإلكترونية في مصر، والعمل على تنمية الفكر لبعض الأفراد والقيادات المختارة من الشباب المصري، وأخضعت بعض القيادات الشبابية للتدريبات وبرامج هذه المؤسسة، لتعلم كيفية قيادة التظاهرات والاعتصامات وكيفية التحركات التكتيكية والمرحلية، وقيادة الجماهير وتوجيهها والتحكم بها واستمالتها وكسب تعاطفها [٢].

إذ أصبحت تلك القيادات قادرة على العمل وتسيير الرأي العام وقيادته وإدارة المواقع الإلكترونية والهرب من الرقابة الحكومية، لتشكيل إستراتيجية متكاملة ومنظومة شاملة للعمل السلمي في تغيير النظام، تبين ذلك من خلال ما تم الكشف عنه في وثائق (ويكيليكس)*، أن الإدارة الأمريكية أدركت تراجع مشروعية النظام السياسي في مصر، لذا قررت استغلال غضب الشعب المصري، وفتح قنوات اتصال مع القوى المدنية المعارضة، من خلال عقد مؤتمرات ولقاءات مع المدونين المصريين وزعماء الحركات الاجتماعية الاحتجاجية ذات المطالب السياسية، من قبل الوكالات والمؤسسات الأمريكية لترويج الديمقراطية في العالم العربي، مثل (مؤسسة بيت الحرية الأمريكي) التي دربت ما يقارب (٢٠٠٠) ناشطٍ إلكترونيٍّ مصريٍّ ما بين عام ٢٠٠٤

---

[1] المصدر نفسه، ص ٨٢.

[2] عصام عبدالشافي، السياسة الأمريكية والثورة المصرية (القاهرة: دار البشير، ٢٠١٣)، ص ٦١.

* ويكليكس: موقع إلكتروني غير ربحي، بدأ بنشر تقارير سرية من مصادر حكومية أمريكية سنة ٢٠٠٦.

إلى عام ٢٠٠٩، بكيفية استخدام الوسائل التكنولوجية والمعلوماتية في الإعداد للتغيير الديمقراطي[١].

**ثانيًا: دور الفاعل الرقمي خلال ثورة ٢٥ كانون الثاني ٢٠١١:**

لقد نشطت العديد من المجموعات والصفحات الإلكترونية خصوصًا على موقع الفيسبوك خلال ثورة ٢٥ كانون الثاني، من أهمها صفحة حركة كفاية وصفحة شباب (٦ نيسان) ومجموعة (كلنا خالد سعيد)، التي من خلالها أطلقت الدعوات لحشد الجماهير ضد النظام، وعبر صفحاتها تم تحديد أماكن التجمعات لذا لجأت الأجهزة الأمنية خلال الأيام الأولى للثورة إلى اعتقال مؤسسيها ومنهم الناشط (وائل غنيم)، فأعلنت هذه الصفحات عن ضرورة النزول إلى الشارع في عيد الشرطة، وجاءت الردود من الشباب الناشطين سريعة تجاوزت أكثر من (٣٠٠٠) تعليق مؤيد لذلك في غضون أيام معدودة، ثم بعد ذلك بدأت الصفحات بكتابة ونشر عبارات تشجيعية لاستنهاض همم المصريين ودفعهم للنزول إلى الشارع بغية تحقيق التغيير المنشود [٢].

ومن أمثلة هذه العبارات (ليكن ٢٥ كانون الثاني هو شعلة التغيير في بلادنا)، و(٢٥ كانون الثاني ثورة على التعذيب والفقر والفساد والبطالة) وغيرها، وما إن أعلنت تلك الصفحات عن المظاهرات ارتفعت معدلات الاشتراك فيها من (١٥٠٠) عضوٍ جديدٍ يوميًا إلى أكثر من (١٠٠٠٠) عضوٍ، وبلغ عدد مشتركيها بحلول يوم ١٨ كانون الثاني أكثر من (٥٧٥ ألفٍ)، وأصبح متوسط التعليقات اليومي أكثر من (١٥ ألفٍ)

---

[1] أحمد سليم عبدالله، "دور السياسة الأمريكية في التحولات الديمقراطية في المنطقة العربية" رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ٢٠١٣، ص ١٦١.

[2] رابحة علام، الأنماط غير التقليدية للمشاركة السياسية للشباب في مصر قبل وأثناء وبعد الثورة (القاهرة: مؤسسة روزا لوكسمبورغ، ٢٠١٥)، ص ٥٧٧.

تعليق يكتبه الأعضاء، وتحولت الصفحات إلى شبكة من النشطاء السياسيين المحركين للثورة [١].

وبعد جهدٍ بذله نشطاء هذه الصفحات على الإنترنت على مدار الأيام السابقة للثورة لتعبئة المصريين، وحثهم على المشاركة في مظاهرات ٢٥ كانون الثاني، كان لابد من تحديد أماكن الوقفات التي ستنطلق منها المظاهرات، وارتأى الشباب أن يعلن عن ذلك في تمام الساعة الثانية عشر مساء يوم ٢٠ كانون الثاني، لضمان انتشار الدعوة بين أوساط المصريين في صلاة الجمعة، التي تعد أكبر تجمع أسبوعي للشعب المصري، وما هي إلا ساعات محدودة، حتى خرجت الجماهير المصرية يوم ٢٥ كانون الثاني بأعداد حاشدة إلى الشوارع والميادين العامة تنادي بالإصلاح والتغيير[٢]، إضافة لما سبق يمكن تحديد أبرز ملامح الدور الذي لعبته الوسائط الرقمية في الثورة من خلال نقاط أساسية؛ وهي :

١- استطاع نشطاء الإنترنت المصريين توظيف الوسائط الرقمية في إدارة أنشطة الثورة وفعالياتها، في الفترة ما بين (١٠ كانون الثاني إلى ٢٨ شباط سنة ٢٠١١)، وتم تأسيس دولة أبناء مصر الافتراضية، التي تناقش يومياتها وانتهاكات السلطة، فقد أكد النشطاء في هذه الدولة على التخطيط والحشد والتركيز على الغضب المسالم، والتأكيد على عدالة القضية، واستُخدِمتْ تلك الوسائط للثبات على المبدأ، وتوظيفها للتوعية السياسية والإصرار والتركيز على الهدف، إلى أن بلغوا إلى تنظيم مظاهرات أيام الجُمع للتعبير عن الغضب في الساحات وأمام القصر الرئاسي [٣].

---

[1] المصدر نفسه، ص ٥٨٠.

[2] هناء فاروق، "اعتماد الشباب على شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقته بإدراكهم لخصائص الشخصية المصرية" رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، ٢٠١٢، ص ٤١.

[3] المصدر نفسه، ص ٤٣.

٢- في ظل وسائل الاتصال الرقمي، أصبح من الصعوبة على الجهاز الأمني مواجهة المتظاهرين، إذ وفرت لهم مساحة من الحرية بعيدًا عن تتبع السلطة، وكانت المجموعات تنطلق منها والمحركون للثورة يتفقون فيما بينهم ويؤسسون صفحات ويحددون أوقاتًا للنزول إلى الشارع، وتبادل المعلومات والأخبار والآراء وحث الناس على المشاركة، ونقل صور التظاهرات ومشاركة النساء وصغار السن، لدفع الرجال والبالغين للمشاركة في الثورة ونزولهم إلى الشارع، كذلك أسهمت في توحيد المتظاهرين على اختلاف أطيافهم الدينية والثقافية والسياسية [١].

٣- قامت مواقع الإنترنت بعملية التشبيك الاجتماعي أثناء الثورة، فنزعت حاجز الخوف والرهبة من نفوس المواطنين المصريين في الخروج للتظاهر، إذ أصبح الشباب يشعرون بالانتماء السياسي من خلال استخدامهم لهذه المواقع، إذ ولَّدتْ انصهارًا وتلاحمًا في المصير، خصوصًا وأن الساحات الافتراضية أصبحت ساحات عمومية بديلة خارج نطاق تأثير النظام الاجتماعي والسياسي المفروض[٢]، وقد أدى عامل الخوف دورًا إيجابيًا في تحقيق المشاركة السياسية في الواقع، بالرغم من أن الإحساس بالخوف يؤدي في الغالب إلى تراجع معدلات المشاركة في أنشطة سياسية في ظل الأنظمة السلطوية، إلا أن هذا المتغير عمل لمصلحة الثورة وأهداف التغيير، فالخوف من التعذيب والاعتقال كان سببًا لإصرار المتظاهرين على الاستمرار في التظاهر لنيل مطالبهم، فبعد أن أصبحت وجوه العديد منهم وأسماؤهم معروفة لدى السلطات، ولم يعودوا شخصيات افتراضية كما كان الحال في الإنترنت، ولم يعد أمامهم مجال العودة سوى التغيير [٣].

---

[1] فراس عزيز، "دور شبكات التواصل الاجتماعي في ثورات الربيع العربي"، مجلة العلوم السياسية، العدد ٤٤ (القاهرة: ٢٠١٤)، ص ٢١.

[2] محمد حسام الدين، ثورات الفيس بوك مستقبل وسائل التواصل الاجتماعي في التغيير (بيروت: شركة المطبوعات، ٢٠١٤)، ص ١٩٠.

[3] محمد حسام الدين، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣.

٤- كانت الوسائط الرقمية خلال الثورة بمثابة تنظيمات بديلة لتعبئة الشباب وتنظيمهم ووضع خططهم المستقبلية، بعد أن فشلت بذلك الأحزاب والنخب الموجودة على الساحة طوال السنوات السابقة للثورة، واستفادت الحركات والجماعات التي دعت إلى ذلك من خبرات سابقة كان أهمها نجاح إضراب السادس من نيسان عام ٢٠٠٨[١]، ولأول مرة تمكن النشطاء المصريين أثناء الثورة من توحيد محركات البحث، والمواقع الاجتماعية لضمان تدفق المعلومات خلال التظاهرات، ومجابهة الرسائل التي كان الإعلام الرسمي يسوق لها، من خلال إيجاد خطاب سياسي معارض لمواجهة الخطاب السياسي للنظام المصري، خصوصًا وأن وجود النظام المصري على شبكة الإنترنت يتسم بالضعف الشديد، هذا ما أشار إليه تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٠ بأن قنوات الاتصال بين الشباب والنخب الحاكمة تكاد تكون معدومة في مصر[٢]، كذلك عمل النشطاء في الصفحات الثورية دورًا مباشرًا في كسر الرسائل المضللة والمنحازة إلى نظام مبارك التي كان يبثها الإعلام المصري، سواء الرسمي أو الخاص، فكانوا يبثون صورًا وحالات شخصية، ومقاطع فيديو مباشرة من الميدان خلال الأيام الثمانية عشر التي سبقت سقوط مبارك، محاولة للرد على الخطاب المناوئ للثورة من ناحية، واستقطاب المزيد من القطاعات المحايدة أو المتذبذبة من الثورة أو غير المشاركة بشكل فعال فيها، إلى صفوف المؤيدين أو المتعاطفين معها، خصوصًا وأن هذه الصفحات لم تتبنَ أيديولوجيا محددة أو معلنة، محاولة منها لبناء توافق شعبي عام حول الثورة ومطالبها، المتمثلة بالقيم التي رفعت من المتظاهرين في اليوم الأول [٣].

---

[1] نسرين عجب، الثورة الافتراضية دور وسائل التواصل الاجتماعي في الثورات (بيروت: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٣)، ص ٦٨.

[2] المصدر نفسه، ص ٧٠.

[3] فراس عزيز، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

٥- استطاع النشطاء من خلال أدوات الإتصال الرقمي أن يتبادلوا الخبرات فيما بينهم لإنجاح ثورتهم، واستفادوا من أقرانهم في تونس الذين كتبوا تجربتهم عبر صفحاتهم، ووسائلهم التي ساعدتهم على مواجهة أجهزة الأمن، ومن أمثلة ما تناقله النشطاء الإلكترونيين هو التأكيد على أن نجاح الثورة يتطلب، أن تكون المظاهرات ليلًا للتقليل من فرص أجهزة الأمن القبض على المتظاهرين ومعرفة هوياتهم، ومن أجل إرهاق قوات مكافحة الشغب، فضلًا عن التأكيد على أهمية التصوير لتبليغ صوت المصريين وتوليد ضغط خارجي على النظام[١].

٦- اعتمد الشباب المصري على الإنترنت بنسبة (٩٠%) في حصولهم على المعلومات عن ثورة ٢٥ كانون الثاني، بينما اعتمدوا على التلفزيون بنسبة (١٠%) فقط، وتوضح التقارير أن الطلبة اعتمدوا في معلوماتهم على موقع الفيسبوك بنسبة (٤٤.٦%)، تلاه موقع اليوتيوب بنسبة (٢٤.٩%)، الذي يعد أهم وسيلة للنشطاء لنقل ما يجري من إحتجاجات إلى الخارج، فأصبح تلفزيونًا رسميًا للثورة المصرية، والمواقع الإخبارية بنسبة(٢١.١%)، وتويتر (٥.٨%)، الذي استخدم لنشر أسماء المعتقلين أثناء الثورة، والمنتديات (١.٩%)، والمدونات (١.٧%)، واستخدمت الوسائط الرقمية من قبل النشطاء المصريين لرفع الوعي بشأن الحراك الشعبي بنسبة (٣١%)، بينما استخدم بنسبة (٢٤%) في محاولاتهم لنشر آخر الأخبار والمعلومات إلى الخارج، في حين وظفه (٣٠%) للتنسيق بين الناشطين وتنظيم التحركات [٢].

---

[1] عبدالله ممدوح مبارك، "دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في مصر وتونس من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ٢٠١٢، ص١٩.

[2] سامي نصير، "السلطة الخامسة الفيس بوك يلغي أدوار الوسائط التقليدية"، العرب الأسبوعي، (القاهرة)، ١٠ تشرين الأول ٢٠١١.

٧- برع الشباب خلال الثورة المصرية في توثيق ما يحدث من جرائم بحق المتظاهرين، ونشره بشكل واسع، واستطاعوا أن يحولوا المعاناة الفردية إلى معاناة جماعية من خلال نشرها، إذ انتقلت أخبار عمليات القتل والتعذيب والقمع، بالفيديو والصور والصوت، إلى كافة أرجاء مصر وخارجها بسرعة كبيرة، ما أسهم في تأجيج الرأي العام الداخلي واستقطاب الدعم والتأييد الخارجي، فخلقت جبهة عريضة ضد النظام تندد بجرائمه بحق المواطنين المطالبين بالإصلاح والتغيير سلميًا، وأصبح الإنترنت مصدرًا رئيسًا لوسائل الإعلام، والقنوات الفضائية التي نشرت الكثير من مقاطع الفيديو، والصور بناء على ما نشرته صفحات الفيسبوك واليوتيوب وغيرها [١].

٨- لعبت الوسائط الرقمية دور الصحافة البديلة أثناء الثورة، من خلال ما قدمته من منصات صحافة المواطن، لذا تحول المواطن المصري إلى صحفي ميداني ينقل الخبر بطريقة ربما أسرع من المواقع الإخبارية المتخصصة، التي تقدم التقارير عن الأحداث على أرض الواقع، وتحميل نصوص ومقاطع الفيديو مباشرة عبر الإنترنت أو تزويد وسائل الإعلام بالمعلومات وأشرطة الفيديو، واستخدمت وسائل الإعلام خلال الثورة النقاشات في وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر للمعلومات في الاحتجاجات، واعتمدت وسائل الإعلام على المدونين المصريين لتغطية حقيقة الأحداث، من خلال استخدام شارك، وهي مصدر إعلامي مفتوح للمواطنين المصريين تتلقى مشاركاتهم حول الثورة [٢]، وإن المصدر المفتوح ظهر خارج سياق الصحافة، بما في ذلك الصحافة الإلكترونية، مع دخول فاعل جديد هو المواطن أو مجموعة المواطنين الذين بدأوا بالنشر أثناء الثورة خارج المؤسسات الإعلامية من دون أن تربطها التقيّد بحقوق الطباعة وحقوق البث، فضلًا عن وقوع تلك

[1] حسين جاسم، ثورة الإعلام البديل المظاهرات والمتظاهرون (القاهرة: دار بيان للطباعة والنشر، ٢٠١٣)، ص ٢٨.

[2] عبد الحميد محمد، المدونات الإعلام البديل (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠١١)، ص ٨٠.

الصحافة خارج سيطرة الحكومة وعجزها عن منع الطباعة والتوزيع والبث، وحتى عندما تم حجب المواقع الإلكترونية فإن مواقع كثيرةً قامت بالنشر مما أَجبر الدولة على توسيع نطاق المنع والحجب إلى درجة يصعب احتمالها [١].

9- أصبحت الوسائط الرقمية فرصة كإعلام بديل أمام إعلام حكومي مؤيد للنظام، فالإعلام التقليدي المملوك للحكومة على وجه التحديد كان يتبع فكرة أن من يملك يحكم، ومن يملك الوسيلة الإعلامية هو من يفرض آراءه وأفكاره، أما المعارضون فلا يعطون هذه الفرصة، فأتت الوسائط الرقمية كفرصة للتعبير عن آرائهم وذواتهم في مواجهة الإعلام الرسمي المصري، الذي لم يعترف بالثورة المصرية وكانت الصور التي ينقلها التلفزيون المصري مغايرة تمامًا للحقيقة، لذا غدت وسائل الإعلام الجديد منافسة للإعلام التقليدي، فنجد أن المتعاملين مع مواقع التواصل الاجتماعي، لا يلجؤون إلى الصحيفة الورقية حتى عند صدورها أو فيما بعد بل كانوا يطلعون عليها من خلال مواقع التواصل، التي كان بالطبع لها تأثير قوي في مساحة التلاقي التي يتيحها بين الأفكار المختلفة قرب مستويات الوعي [٢].

١١- ساهمت الوسائط الرقمية في خلق سرعة في التفاعل بالتعبئة الاجتماعية خلال الثورة التي كانت تفتقر إليهما تقنيات التعبئة التقليدية، والتي تشمل عادة استخدام المنشورات والملصقات والفاكسات، وذلك بسبب قدرتها على تبادل ونشر المعلومات بسرعة بين ملايين الأشخاص داخل وخارج مصر، كذلك وفرت وسيلة لنشر المعلومات المهمة حول السلامة خلال الثورة، ومنفذًا لطلب الدعم وجذب الانتباه عند الخطر، وتزويد الناشطين في الخارج بتحديثات دقيقة للمعلومات، منها

---

[1] المصدر نفسه، ص ٨٣.

[2] عبدالعزيز طرابزوني، "حقيقة الإعلام الجديد في الربيع العربي ومستقبله"، العرب الدولية (القاهرة)، ٢٨ تشرين الثاني ٢٠١١.

الصور ومقاطع الفيديو، وبفضلها جعلت المصريين وغيرهم في خارج مصر على اطلاع بالتطورات وممارسات النظام بحق المتظاهرين [١].

١٢- نجح المتظاهرون في تفعيل وسائل الاتصال التقليدية، للالتفاف على الرقابة اللصيقة المفروضة على وسائل الإعلام، ولا سيما تلك المساندة للثورة كقناة الجزيرة الإخبارية، من خلال خلق هجين اتصالي من تلك الوسائل مثل استخدام خطوط هاتف دولية لنقل التغريدات، وكذا استخدام ترددات الراديو المحلية، وأجهزة الفاكس لنقل مقاطع ويكليكس الخاصة بالأحداث في مصر، أتاح لهم هذا الهجين التكنولوجي التحفيز الومضي في محاولة لإيصال صوت المصريين إلى خارج نطاق الحصار الإعلامي المفروض عليهم، تلت هذا محاولات الحكومة المصرية للتشويش على المحطات الإخبارية الكبرى التي حضرت على الأرض، والتي استطاعت تقديم مادة إخبارية، عبأت الجبهة الداخلية ووفرت الدعم الخارجي، لذا عدلت المحطات الإخبارية إشارات البث الخاصة بها لتجاوز التشويش [٢].

١٣- توقَّعَ النظام المصري بأن حملة القمع الافتراضية ستضع حدًا للحراك الثوري في ميدان التحرير، لكن هذه الإستراتيجية أعطت نتائج عكسية منذ البداية، إذ دفع المتظاهرين لبناء شبكات من العلاقات الإنسانية المبنية على الثقة المتبادلة والتواصل الشخصي، ففي الساعات الأولى من الثامن والعشرين من كانون الثاني عام ٢٠١١، قام النظام المصري الذي كان يتوقع احتجاجات معارضة واسعة النطاق في ذلك اليوم، بإغلاق جميع اتصالات الإنترنت والاتصالات النقالة في

[1] جمال الزرن، هندسة المكان الافتراضي منتجة لخطاب ثقافي (القاهرة: دار أم القرى، ٢٠١٤)، ص ٧٤.

[2] محمود علي، من ثورة الاتصال إلى ثورة التغير– رؤية تكنو– اجتماعية لأحداث مصر ٢٠١٣ ، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٨ ( مصر: ٢٠١٤)، ص ٢٤.

البلاد، خصوصًا وأن الحكومة المصرية تسيطر على الاتصالات المادية التي تربط البلاد بالعالم الخارجي، مثل كابلات الألياف الضوئية الموجودة في مصر [١].

إن قطع الاتصالات كان سببًا في انتشار رقعة المظاهرات بعد أن ولد رد فعل غاضب على نحو لم تتوقعه الحكومة المصرية، وأدى إلى تعبئة الشعب المصري ضد النظام وإثارة سخط المجتمع الدولي، وتزايد أعداد الشباب التي نزلت إلى الشوارع، مع إصرارهم على تغيير النظام، بسبب مواصلة النظام قمع حريتهم، وبرز الدور الخارجي الداعم للثورة المصرية، من خلال شركات فرنسية تعاونت مع نشطاء إلكترونيين مصريين لتطوير طرق بديلة توفر الإنترنت في البلاد، من خلال فتح الإنترنت عن طريق اتصالات الطلب الهاتفي من الهاتف الأرضي [٢]، كذلك أطلقت شركة غوغل خدمة التغريد عبر الهاتف التي تسمح للمتصلين باختيار رقم مكون من ثلاثة أرقام صوتية يتم نشرها بعد ذلك على شكل تغريدة في تويتر، فضلًا عن ذلك فقد بدأ النشطاء على الفور بترويج معلومات على موقع فيس بوك حول خوادم فرعية (proxy)* وبرامج يمكن للمستخدمين تحميلها للإفلات من الرقابة الأمنية، والدخول إلى المواقع الإلكترونية التي حجبها النظام، وتم تأسيس مجموعة من قبل ١٦ ناشطٍ مصريٍّ سميت (SBZNEWS)، اعتبرت أقوى مصدرٍ للأخبار من داخل مصر، فقد كانوا

---

[1] وقفية جاسم، الديمقراطية وحقوق الإنسان: اتجاهات الرأي العام العربي نحو الديمقراطية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣)، ص ٤٦.

[2] المصدر نفسه، ص ٤٨.

[*] proxy: تطبيق يركب على خوادم تسمى خوادم البروكسي، يعتمد عليه مزودو الخدمة كوسيط بين المستخدمين والإنترنت فيساهم في توفير الحماية والسرعة والأمان فضلًا عن عزله للشبكة الخارجية العالمية، ويمنح المستخدم خصوصية وأمان أثناء تصفحه الإنترنت، لكونه سيأخذ موقع دولة أخرى، ويغير هويته مع القدرة على فتح المواقع المحجوبة وتحريرها من سلطة الرقابة .

للمزيد ينظر: حسين جاسم، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠.

يستخدمون البروكسيات المشفرة، والشبكة الافتراضية الخاصة (VPN)* ليتصلوا بالإنترنت مهما أغلقت المنافذ المؤدية إليها [١].

**خاتمة**

ولَّد اجتياح الثورة الرقمية لمختلف مناحي الحياة فاعلًا جديدًا، له آثارٌ على صعيد الساحة السياسية الدولية والمحلية، ألا وهو الفاعل الرقمي، قوامه الإنسان ذو (الأنا) التواصلي صاحب العقل التداولي والتفاعلي، والذي يتعامل مع معطيات وجوده عبر وسائل التقنية الحديثة، إذ يمثل المجتمع الشبكي روحَ العصر ومحرك الأحداث، في حياة الأفراد والدول على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، إذ أضحتِ الوسائلُ الرقمية فضاءَ السياسة المفضّل، والتي غيرت أنماط التفكير وبرمجة العقول، وأفضت إلى تشكيل فضاءاتٍ شبكية وعوالم تتغير معها الأفكار السياسية، بقدر ما تتغير طرق إدارة الأشياء وممارسة السلطة، وصناعة الثقافة السياسية وإعادة تشكيل الوعي السياسي، وممارسة التأثير من أيّةِ نقطةٍ في العالم مع أُخرى أو نقاطٍ عدةٍ في الوقت نفسه وعلى مسافات مختلفة، وهو أمر استثمرته الدول المتفوقة تقنيًا من خلال غزو العقول لتحفيز الشعوب نحو التغيير، فضلًا عن تدريب ودعم الجماعات الإفتراضية لتُباشر الفعل التغييري كما حدث في ثورة مصر عام ٢٠١١، فقد اعتمد الشباب المصري على التشبيك الاجتماعي عبر الإنترنت لإنشاء واقع سياسي افتراضي، وبذلك مثل صدمة للنظام لم تستوعبها الأجيال الحاكمة الأكبر سِنًا، بسبب الفجوة الجيلية والمعرفية في ظل سلطة تسيطر على الإعلام والتعليم، لم تعِ أن تضييقها على الحريات دفع بالشباب إلى العمل السياسي الافتراضي بعيدًا عن رقابة أجهزة الأمن، والذين كان لهم الدور الأبرز في قيادة وتنظيم التظاهرات ما قبل التغيير

---

[١] وقفية جاسم، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

(*) VPN: شبكة افتراضية خاصة لها أهمية كبيرة لدى مستخدمي الإنترنت، لها مزايا عديدة مثل القدرة على ولوج المواقع المحظورة في منطقة المستخدم، مع القدرة على تصفح الإنترنت بكل أمان في نقط وايفاي .

وخلال مباشرته في ٢٥ كانون الثاني عام ٢٠١١، والذي أسفر عن تغيير نظام مبارك وإجباره على التنحي عن السلطة.

**أولًا : الاستنتاجات:**

إنَّ من أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة تتمثل بما يأتي:-

١. الفاعل الرقمي وسيلة من وسائل التغيير السياسي الناعم ومحركًا للأحداث السياسية الداخلية، يعتمد على الوسائل التقنية غير المحسوسة ذات القدرة التدريجية على التغيير السياسي، من خلال تعبئة الفرد وتشكيل نسق فكره السياسي بعيدًا عن تدخل السلطة، فأصبح قادرًا على أن يؤثر في النظام السياسي بطرق غير عنيفة منها التحريض والدعوة إلى التغيير .

٢. إن "الفاعل الاحتجاجي الرقمي" لا يتجسد في المناضل الحزبي ولا النقابي، بل يظهر المحتج بوصفه فاعلًا ذا شخصية شبكية مستقلة، مما يجسد انبعاث وعي سياسي غير مؤطر حزبيًا، متجاوزًا لمنطق التنظيمات التقليدية من خلال حراك سياسي ينطلق بمجهود جماعي ليس من السهل كشف مركزه ومحركه .

٣. تعد التقنية محركًا جوهريًا لاختيارات الفعل الإنساني من حيث التفاعل والوسيلة ما بين التقنية وأنماط التغيير المجتمعي على أساس الترابطية في المجتمع المصري، فحصلت فيه تحولات جذرية مست عمق الفعل السياسي والاجتماعي والثقافي بعد أن شكلت ثقافة مصرية جديدة للتغيير، قوامها استخدام الوسائط الرقمية لإنهاء الإستبداد والتطلع نحو ثقافة تحررية.

٤. فتحت الرقمية مجالات وفرصًا جديدة ومبتكرة للمشاركة السياسية معززة لحق المواطن المصري بالتعبير والمشاركة في إدارة شؤون الدولة والمجتمع، وأعادت صياغة معنى المشاركة السياسية والاجتماعية الفاعلة بمصر فلم تعد مشاركة موسمية بل مشاركة يومية يمارسها المواطن على مواقع الإنترنت .

٥. تحققت النزعة التمردية للفاعل الرقمي على الأرض في ثورة ٢٥ كانون الثاني في مصر، إذ لعبت وسائله دورًا مُهمًا في تأجيجها وتنظيمها وقيادتها وتطوير النسق

الحركي للتمرد الجماهيري على النظام المصري، بعد أن تجاوز الأفراد الإفتراضيين من القوى المدنية نفوذ النظام بآلياته الأمنية والاستخباراتية والعسكرية وتحررهم من القيود والضوابط السلطوية التي تفرضها سيطرة الدولة .

٦. خلقت الوسائل الرقمية في مصر ثقافة تغيير جديدة للمواطن المصري مكنته من تحدي الإستبداد والتخلص من عقدة الخضوع، وكسر حاجز الخوف الذي يشل إرادته على الحركة والفعل، ولأول مرة عُدَّ فيه المواطنون المصريون فاعلون ومشاركون في أعمال البناء والإنماء كل من موقعه وبأدوات اختصاصه، فأصبحت إرادة الشعب المصري جزءًا أساسيًا من المعادلة السياسية، غيرت معالم المشهد السياسي من خلال التعبير عن طموحات التغيير والإصلاح، وإعادة النظر في الكثير من المفاهيم التي هيمنت على الثقافة السياسية المصرية بكسر عقلية النخبة والانتقال إلى المجتمع التداولي .

٧. أسهم الدور الخارجي في استخدام الفاعل الرقمي في عملية التغيير السياسي في مصر، عبر المنظمات غير الحكومية التي دربت النشطاء على كيفية استخدام وسائط الفاعل الرقمي في التعبئة وقيادة المتظاهرين وكسب المؤيدين، فضلًا عن فتح السيرفرات أمام النشطاء أثناء التغيير بعد حجب النظام المصري للمواقع الإلكترونية خلال الثورة .

٨. إن الميزات العديدة للوسائل الرقمية جعلت منها الوسيط الأفضل، بالنسبة إلى الثوار المصريين والمحرك الأساسي لثورتهم وتوظيفها في إدارة أنشطة الثورة وفعالياتها، محددةً زمان ومكان النزول إلى الشارع ، ورفع الشعارات لمواكبة الفعل التغييري ، ووضع التكتيكات المناسبة لمواجهة النظام، والكشف عن انتهاكاته تجاههم من خلال الصور ومقاطع الفيديو لنزع شرعيته أمام المجتمع الدولي لتحقيق التأييد والتعاطف، جُلَّ هذا أسهم في إجبار مبارك على ترك السلطة، وكان أيضًا سببًا لاكتساب الخبرة من قبل الشباب المصري في اعتماد

الآلية الرقمية في التغيير تجلى ذلك مرة أُخرى في تغيير نظام محمد مرسي عام ٢٠١٣ .

٩. دفع نجاح الفاعل الرقمي بالتغيير السياسي في مصر بعض الدول لاحقًا إلى استخدامه لصنع التغيير، تجلى ذلك بمحاولات روسيا اختراق النظام الانتخابي الأمريكي عام ٢٠١٦ لتغيير النتائج، كذلك تعاقدت القوى السياسية المساندة لخروج بريطانيا من الإتحاد الأوروبي مع شركة بريكست الكندية للإلكترونيات، لتعبئة الرأي العام البريطاني من أجل التصويت لصالح الخروج من الإتحاد، والتي أشارت أنها كسبت معركة التواصل الاجتماعي في بريطانيا، ونجحت في توجيه المواطن البريطاني للتصويت مع قرار الخروج .

**ثانيًا: المقترحات:**

١- ضرورة الإهتمام بعلم الاجتماع السياسي الآلي من قبل الباحثين والدارسين في علم السياسة كونهُ يُعد فرعًا جديدًا من علم الاجتماع السياسي المعاصر، للوقوف على تأثير الرقمية في التفاعل الإنساني السياسي، فضلًا عن أثرهِ في صنع ثقافة الفرد وهويته السياسية .

٢- أَهمية إِدراج الفاعل الرقمي ضمن عناصر قوة الدولة .

٣- إدراج الفاعل الرقمي مع الفواعل الرسمية أو غير الرسمية، التي تؤثر في مدخلات ومخرجات الأنظمة السياسية المعاصرة .

٤- لا غرو في أن الفاعل الرقمي أصبح جزءًا أَساسيًا من آليات التغيير السياسي، الأمر الذي يُحَتِم من إدراجه ضمن آليات التغيير وإسقاط الأنظمة، من خلال وسائطه سواءٌ من قبل الفرد في الداخل، أو من خلال الدول التي تُفَعِّلَهُ من أجل تغيير الأنظمة المستهدفة .

## Abstract

The digital actor has created the process of change in Egypt. The digital media have played an important role in organizing and leading the movement and developing the dynamic pattern of the mass rebellion against the Egyptian political system through the possession of the civil forces and the virtual individuals of the Internet capabilities, which exceeded the influence of the system by its security, intelligence, Which also contributed significantly to the rebellion of the Egyptian citizen on the list, and the liberation from the constraints and authoritarian controls, imposed by state control, which led to the success of political change in Egypt after the declaration of (Mohamed Hosni Mubarak) to give up of the power.